شبيهة بالنخيل الباسقة الأغصان أو بسيقان اللوطس المنتهية أعاليها ببراعيم ذلك النبات ، وكثيرا ما زين المصرى سقوف حجراته برسوم الحمام والفراش الطائرة بين الأشجار . وكان يحلى أرض منزله باللون الأخضر على شكل مستنقعات يسبح بين أعشابها السمك ونشاهد بها أحياناً ثيراناً وحشية طاردة للعصافير المحلقة فوق الأعشاب المائلة ، ويرى الناظر أن هذه الطيور تسعى فى الوقت نفسه لخلاص صغارها من ابن عرس الذى يريد افتراسها .

أما الأدوات المنزلية المستعملة يومياً فى منازل الأغنياء فجميلة متناسبة الأجزاء تشاهد على أبسطها صنعا مناظر الطبيعة وجمالها المرئيات فى خلال القطر المصرى [1] .

وليس هذا هو كل شيء فى رقى الصناعات العملية فى مصر بل إن هناك خوارق ومعجزات ظهرت على أيدى أولئك الصناع المهرة البارعين ، فالتاريخ يحدثنا بأن الصائغين قد بلغوا فى صناعة الحلى دقة لم يسع فنيي مصر الحديث إلا أن يعترفوا أمامهم بعجزهم الكامل عن مجاراتها ، وهو ينبئنا كذلك بأن صناع الكؤوس والأكواب قد وصلوا فى صناعتهم إلى حد أن يبتدعوا أكواباً من الصوان تشف عما في دخلها فيرى فى وضوح كما يرى ما هو فى داخل الزجاج سواء بسواء ، وأن النساجين توصلوا إلى صنع غلائل من الكتان شفافة لا تحجب ماوراءها ولاريب أن هذا هو فى الصناعة أعلى مراتب الاعجاز .

ويحدثنا الأستاذ « بريستيد » فى صفحة ٦٦ من كتابه « أن مهندسى العمارة والبنائين عرفوا شيئا كثيراً من علم رفع الأثقال (الميكانيكا) كما يستدل من قبو مقبرة بيت الخلاف يرجع تاريخها إلى القرن الثلاثين قبل الميلاد وغير ذلك مما يبرهن على ان العلوم العقلية والعملية كانت قد وصلت فى مصر إلى أبعد مدى تستسيغه تلك العصور .

هذا ، ولما كانت الفلسفة الهندية هى أهم الفلسفات الشرقية جميعها بعد فلسفة مصر من ناحية وأقدمها إلا الفلسفة المصرية من ناحية أخرى فقد آثرنا أن نثنى بها بعد أن بدأنا بفلسفة وادى النيل التى هى مبدأ الجميع فى رأى أدق العلماء والباحثين .

(يتبع) محمد غلاب

(١) راجع صفحة ٦٧ من كتاب الأستاذ بريستيد ٨ ٥٦٠

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألمانى فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

مشاهير الحكماء

جميعكم أيها الحكماء المتمتعون بالشهرة ، قد خدمتم الشعب ومايؤمن به من خرافات ، ولو أنكم خدمتم الحقيقة لما كرمكم أحد ، ومن أجل هذا احتمل الشعب شكوككم فى بيانكم المنمق لأنها كانت السبيل الملتوى الذى يقودكم إليه . وهكذا يوجد السيد لنفسه عبيداً يلهو بضلالهم الصاخب . وما الانسان الذى يكرهه الشعب كره الكلاب للذئب إلا صاحب الفكر الحر عدو القيود الذى لا يتعبد ولا يلذ له إلا ارتياد الغاب

إن ما حسبه الشعب فى كل زمان روحاً للعدل إنما هو العدو الكامن المترصد لروح الحرية يستنبح عليها أشد كلابه افتراساً وقد قيل فى كل زمان (لا حقيقة إلا فى الشعب فويل لمن يطلبها خارجاً عنه)

لقد أردتم أن تؤيدوا الشعب فى ما يبدى من خشوع وإجلال ، فدعوتم هذه المذلة (إرادة الحق) فيا لكم من حكماء

غير أنكم كنتم تقولون فى أنفسكم لقد نشأنا من الشعب وصوت الشعب هو صوت الله فكنتم كالحمار الصبور المراوغ تعرضون وساطتكم على الشعب ، ولكم من ذى سلطان أراد ان توافق عجلته ذوق الشعب ففطر لجرها حمارا صغيرا ، حكيما مشهورا ...

فيامشاهير الحكماء ، إنى أطلب منكم أن تخلعوا عنكم ما تتلبسون به من جلود الأسود وجلود الوحوش الكاسرة المخططة وفراء المستكشفين للمجاهل والفاتحين . إذ لا يسعنى أن أؤمن بالحقائق التى تنادون بها مالم تقلعوا عن بذل التبجيل والتعظيم ، فما رجل الحق إلا الضارب فى القفار ولا إله له لأنه

حطم بين جنبيه قلب التبجيل والتعظيم وإذا هو تلفت ورمال الصحراء تحرق قدميه إلى الواحات حيث يتدفق الماء الزلال ، ويمتد وارف الظلال ، وترتاح الحياة ملقية عصا الترحال ، فلا يقتاده الظمأ إلى الاتجاه نحوها طلباً للاغتباط بين المغتبطين لأنه يعلم أن لكل واحدة أصنامها ،وما يريد الأسد إلا الانفراد محرراً من عبودية الأرباب ومن سعادة المستبدين ، بعيداً عن الآلهة والمتعبدين وعن الخوف ومنزليه فى القلوب ، ذلك ما يصبو رجل الحق إليه . وما عاش رجال الحق إلا فى القفار يسودونها بانطلاق تفكيرهم فى مجالها الوسيع . وهل فى المدن إلا مشاهير الحكماء يتناولون خير الغذاء كذوات الضرع تغذى لتحلب . ويجرون عجلة الشعب وقد كُدنوا بها كالحمير

وما أنا بالناقم عليهم ولكن ليعلموا أنهم خدم مشدودون إلى عجلة وما يرفع من ذلهم توهج الذهب على العجلة التى يجرونها

ولطالما أخلص هؤلاء الناس فى خدمتهم فاستحقوا الثناء لأن الحكمة تقضى بأن يفتش الخادم عن سيد يستفيد من خدماته

لقد وجب أن يتسامى عقل سيدك وتعلو فضيلته لأنك بهما تعلو أنت

والحق أنكم قد علوتم بارتقاء عقل الشعب وفضيلته ، أيها الحكماء الخادمون للشعب كما اعتلى هو بكم ، وما أعلن هذا لتمجيدكم ، فانكم قد بقيتم أنتم شعباً حتى فى فضائلكم ، وما تزالون شعباً لا بصيرة له ، ولا يدرك للعقل معنى

إنما العقل حياة تمزق الحياة تمزيقاً ، وما تزداد الحياة معرفة إلا بما تتحمل من آلام ، فهل كنتم لهذه الحقيقة عارفين؟

لا يسعد العقل إلا إذا مسح بالدموع وتوج بالتضحية فهل كنتم لهذه الحقيقة عارفين ؟

إن عماء الضرير وتلمسه لطريقه إنما هو شهادة لقوة الشمس ، التى حدق بها فهل كنتم لهذه الحقيقة عارفين ؟

على طالب المعرفة أن يتعلم البناء باستخدامه الجبال حجارة لاقامة صرحه ، وما يصعب على العقل أن ينقل الجبال ، فهل كنتم لهذه الحقيقة عارفين ؟

إنكم لا تلمحون من العقل إلا ما يقذف به من شرر ، فلا تعرفون ، أى سند ان هو هذا العقل ، ولا تعرفون أيضاً قساوة المطرقة التى تتهاوى عليه

والحق أنكم تجهلون كبر العقل ويصعب عليكم احتمال تواضعه لو أراد تواضع العقل أن يعلن حقيقته

إنكم ما تمكنتم فى أى زمان من إرسال عقلكم إلى مهاوى الثلوج ، فما بكم الحرارة الكافية لاقتحامها ، ولذلك لا تدركون لذة من تنعشه لفحات هذه المهاوى ، غير أنى أراكم بالرغم من هذا تقدمون على مداعبة التفكير ، وقد جعلتم الحكمة ملجأ ومستشفى للمتشاعرين ...

لستم عقباناً أيها الحكماء المشتهرون ، فأنتم إذاً لا تدركون ما يلد العقل من لذة فى ارتياعه ، فلا يحق لغير المجنح أن يخترق الهواء فوق الوهاد

ما أنتم إلا فانرون أيها الحكماء ، وفى كل معرفة عميقة يهب تيار من الصقيع لأن ينابيع العقل الخفية باردة كالثلج ولا تلذ ببردها غير الأيدى الملتهبة بحرارة جهادها

إنى أراكم أمامى أيها الحكماء المشتهرون ملفعين بقساوتكم جامدين على غروركم فما للريح أن تدفعكم ولا للارادة أن تهيب بكم إلى الاقدام

أما رأيتم على مضطربات الأمواج شراعا خفاقا يندفع وقد عصفت فى ثنياته هوجاء الرياح . إن حكمتى تجتاز العمر خافقة كهذا الشراع وقد ملأتها عواصف التفكير ، تلك هى حكمتى الشاردة النفور . فهل لكم أن تجارونى فى اندفاعى أنتم يامن تخدمون الشعب ، أنتم مشاهير الحكماء

هكذا تكلم زارا ...

نشيد الليل

لقد أرخى الليل سدوله فتعالى خرير المياه المتدفقة ، ولنفسى أيضاً ينبوعها المتفجر

لقد أرخى الليل سدوله فتعالت الأناشيد من أفواه جميع

المغرمين ، وما روحي إلا نشيد من هذه الأناشيد . إن في داخلي قوة ثائرة تريد إطلاق صوتها وهي شوق إلى الحب بيانه بيان المغرمين . أنا نور وليتني كنت ظلاماً ، وما قضى علي بالعزلة والانفراد إلا لأني تلفعت بالأنوار . ولو أنني كنت ظلاما ، لكان لي أن أتعلق بأسداء النور فأنقع من درها غلتي ، لكان لي أن أرسل بركتي إليك أيتها النجوم المتألقة كصغيرات الحباحب في السماء إذ أتمتع بما تذرين على من شعاع . غير أني أحيا بأنوارى فأتشرب اللهب المندلع من ذاتي وقد حرمت لذة الآخذين ، وقد خطر لي مراراً أن في السرقة من اللذة ماليس في الأخذ .

إن يدى لاتقف عن البذل وذلك هو فقرى فأنا أنظر أبدا إلى العيون يملأها الانتظار وإلى الليالى تلهبها الأشواق ، وذلك هو الحسد الذى يقض مضجعى

يالشقاء الواهبين ... يالظلمة شمسى ويا لشوقى إلى الاشتياق ويا لشدة المجاعة فى شبعى

إنهم يأخذون ما أهبهم ولكنني أبق بعيداً عن أرواحهم فان بين الباذل والآخذ هوة عميقة ، ولعل أقرب الأغوار قعراً أصعبها ردماً

إن نوعاً من الجوع ينشأ فى أحشائى فيحفزنى إلى إيلام من أرسل إليهم أنوارى ، فأتوق إلى سلب من أغدق عليهم هباتى وهكذا اتعطش إلى إيقاع الأذية فأرد يدى بعد أن أكون مددتها وأتردد تردد الشلال فى تدفقه نحو مراميه

إن مثل هذا الانتقام يراود عظمتى ، ومثل هذا المكر ينشأ من عزلتى

لقد فقدت السعادة فى العطاء لوفرة ماأعطيت وقد زهقت فضيلتى من نفسها ومن جودها ، إن من يستمر على بذل الهبات مهدد بفقد الحياء . ولا بد أن تتصلب راحته ويتصلب قلبه .

لم تعد مآقى تذرف الدموع على خجل المسترحمين وها إن يدى قست حتى امتنع عليها أن تشعر بارتعاش الأيدى اذا امتلأت .

أين هى دموع عينى وأين رقة قلبى . فيا لوحدة جميع الواهبين ويا لصمت كل متلفع بالسناء .

إن شموساً لا عداد لها تدور فى قفار الأجواء مخاطبة بأشعاعها لبدات الظلام وأنا وحدى محروم من حديث هذه الشموس وبيانها .

ويلاه ! أية علاقة يمكن أن تربط الأنوار بالاجرام المنيرة من نفسها ؟ فان الأنوار تمر عليها وهى تحدجها بلفتات الجفاء وتمضى ذاهبة فى سبيلها ، وهكذا تسير جميع الشموس فى أجوائها نافرة من كل جرم منير باردة لا تحس اخواتها بحرارتها .

ان الشموس تندفع كالعاصفات فى أبراجها متبعة ما اختطته إرادتها الجبارة وفى ذلك كتمان حرارتها وبرودتها .

هل غيرك أيتها الأجرام الملفعة بظلام الليل من يخلق حرارة من اللمعان ؟ أنت وحدك ترضعين أفاويق القوة من انداء النور .

ويلاه ان الصقيع يدور بى ويدى تحترق من لفحات الجليد ، فأنا مشتعل بسعار لا يطفىء أواره غير عطشكم ، لقد سادت الظلمة فلماذا قضى على أن أكون نوراً منفرداً متعطشا إلى الظلام ؟

لقد سادت الظلمة فتدفقت كالجداول اشواقى وهى تريد أن تهتف بما تضمر .

لقد أرخى الليل سدوله ، فتعالى خرير المياه المتدفقة ، ولنفسى أيضا ينبوعها المتفجر .

لقد أرخى الليل سدوله فتعالت الأناشيد من أفواه جميع المغرمين ، وما روحى إلا نشيد من هذه الأناشيد .

هكذا تكلم زارا . . .

اطلب مؤلفات
الأستاذ النشاشيبي
وكتابه
الإسلام الصحيح
من : مكتبة الوفد ، شارع الفلكي (باب اللوق)
ومن : المكتبات العربية المشهورة